خطاب الدكتور شكري فيصل

في حفل استقبال الدكتور أمجد الطرابلسي

السيد وزير التعليم العالي ، سيدي الاستاذ الرئيس ، الاخوة الزملاء، أيها السيدات والسادة :

في حياتنا ، جماعات وأفرادا ، لحظات نادرة نأوى اليها بوجودنا كله، ونلتقي عليها بنفوسنا كلها ، ونرقبها من وراء الغيب ، ونحنّ اليها على القرب والبعد .. نفكر فيها حين يهدّنا التفكير ، ونتطلع اليها حين يستبد بنا الكبت أو الضيق ، ونتمثلها واحة تتراقص فيها الظلال ، وتندى منها الأوراق ويفوح فيها العطر كلما أجهدتنا الأعباء أو تكاثرت من حولنا السهام .. ونحلم بها كلما ثقل علينا القيظ على طريق الحياة .. لحظات هي من دنيانا وليست منها : علوية النسيم ، صوفية الأنداء ، خالصة للحق ، مخلصة للخير والجمال .

هذه اللحظات ليست ملكا لانسان ولا وقفا على فرد ، ولا أملك أن أظفر بها أنا وحدي أو أن تظفر بها أنت .. لعل روعتها أنها لحظات مشتركة ، لحظات من حياة الوطن حين ترتفع راية من راياته في استقلال ، أو حين تنتصب كبرياؤه منتصرة في معركة ، أو حين تتعانق أعلامه لتذوب في علم واحد .. لحظات من حياة الجماعة في موقف من المواقف التي تؤكد فيها وجودها أو تحقق ذاتها .. لحظات تتجسد فيها فضيلة من الفضائل أو أمانيّ من الأماني .. لحظات تلتقي فيها ضمائرنا على الفكرة الواحدة أو المثل الواحد .. لحظات هي التي يتجمع فيها تاريخنا على نحو ما تتجمع أشواق هامسة لأم في قبلة لقاء ، أو أشواق مكتمة لأب في قبلة وداع ..

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لحظات توشك أن تكون رموزاً من رموز التاريخ، مستقطرة للحاضر ومتحركة على صفحة المستقبل ، ترسم في حركتها مسيرة الحياة .

هل أشك أيها السادة أو تشكون أننا الساعة في مثل هذه المواقف من تمجيد لفتنا وتكريم أدبنا وتتويج هؤلاء الذين عملوا لهذا الأدب وهذه اللغة ... هل تشكون أننا الساعة في مثل هذه اللحظات التي وصفت .

دعوني اذن أنطلق معكم ونحن في سعادة هذا اللقاء وأنسه، وفي خلوصه وصفائه لأتحدث اليكم عن العالم الشاعر .. دعني أيها الأخ أتحدث عنك واليك بعد أن حاولت تأخير هذا الحديث سنوات منذ اختارك زملاؤك — وليهنك وليهنهم هذا الاختيار — أن تكون معهم في الخالدين .

* * *

كان يمكن أن لايذكر من طفولته إلا ملامح غائمة لو كان شأنه شأن الأطفال جميعا ينشؤون في كنف الأب الذي يرعاهم وفي حدب الأم التي تلقاهم بقبلة الصباح اذا أصبحوا وبقبلة المساء اذا أمسوا .. ولكنه لم يكن كذلك . أما أبوه فقد كان ضابطا في الجيش العثماني ثم ضابطا في الجيش الفيصلي .. أترون أنكم وقعتم على سر هذه النظرة الحادة الصارمة التي يملكها حين يقتضي الأمر أن يكون صارما ؟.. من يدري ما الذي نرثه من آبائنا .. وما الذي نورثه أبناءنا من بعد ..

أيّاً كانت النظريات في ذلك فنحن حلقات متتابعة في هذا الوجود ولا بد للحلقة أن يكون لها مع التي قبلها تماس ، وأن يكون بينهما همس أو رنين.

لكن قصته لاتبدأ مع أبيه .. انها البداية التي نراها نحن والتي نستطيع أن نستجليها من هنا وهناك. ان جزءا من هذه القصة عميق عميق لانراه كما لانرى من الجبل في البحر الا الجزيرة التي تنبسط لأعيننا وكما لانرى من التيار الخفي أحيانا الا موجات مزبدة أو متألقة على السطح .. ان القصة تبدأ من قبل ... منذ أن جاء جدّ هذا الضابط خريج المدارس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العسكرية في استامبول الى الشام .. لم يجئها هذا الجد ، من بعيد ، جاءها من توأمها من البلد الذي كان ـ ويجب أن يظل ـ جزءا منها . عنيت طرابلس الشام ، احدى أصابع شبه الجزيرة التي تمدها على البحر المتوسط على طول الساحل من اسكندرونة وأنطاكية الى غزة ورفح وما بينهما من ثغور وموانىء : عسقلان وقيسارية ويافا وحيفا وبيروت وعكا واللاذقية ، وظلال لها كثيرات : صيدا وصور وجبلة وطرطوس وبانياس مبعثرة على رمال هذا الساحل .

الجزء الغائم البعيد من هذه السيرة يبدأ في هذه الهجرة . عفوكم أيها السادة ... أردت من هذه النقلة .. فلم يكن ما بين الشام وطرابلس الشام هجرة ومهاجرون ولا كان أوراق ووثائق ولا كانت رسوم وأختام لأن التاريخ المفتوح على المستقبل من غير عقد هو الذي كان يتكلم ، وليس الواقع الذي لا يريد أن يعرف الماضي ولا المستقبل ، ولا أن يكتشف الطريق بين الماضي والمستقبل ـ هو الذي يتحكم أو يتكلم .

وتبدأ أجزاء من هذه القصة التي يحجبها البحر تتلامح على استحياء بين المد والجزر حين يصهر هذا الضابط الشاب ، حسني بن محمود الطرابلسي ، الى أسرة من هذه الاسر الدمشقية المعروفة : أسرة عمر باشا في سنة لانتبينها ، ولكننا نجدنا أمام هذه الأسرة الجديدة التي تسكن في حي باب السريجة .. لاتوغل في الجنوب الى الميدان مطل دمشق على جذورها الاولى في الصحراء ، ولا توغل في الغرب مطل دمشق على البحر .. وانما هي بين بين .. ومرة أخرى من يدري ما الذي تورثنا البيئة .. مالذي نحمله منها وما الذي نحمله لها ؟..

وتتتابع في حياة هذه الأسرة صفحات ، وتنشأ فيها نبتات صغيرة تأخذ طريقها الى الوجود وتتوالى نبتة بعد نبتة وغصنا بعد غصن ، وتكبر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عاما بعد عام .. لعل هذا الوليد الذي يطلق عليه أبواه اسم (أمجد) في متابعة هذه السلسلة من الأسماء التي سبقته ـ كان الحبة الأخيرة في هذا العنقود .

أما سجلات الدولة فتقول ان ذلك كان عام ١٩١٨ ، وأما مذكرات الأسرة فانها تقول انه ولد في العاشر من رجب من سنة ١٣٤٤ هـ الموافق ١٣ أيار من سنة ١٩١٦ م .

ان نزعة الصدق الصارمة جعلتك تقول أيها الصديق ، في الترجمة المقتضبة التي ترجمت بها لنفسك في إضبارة المجمع (وثقتي بهذا التاريخ تفوق ثقتي بالتاريخ الآخر الذي تلصقه بميلادي سجلات الدولة) .

ومع ذلك فان أحدا لايستطيع أن يلغي عام ١٩١٨ من حياتك أيها الصديق ... ألم يكن العام الذي ودعت فيه أمك الحياة في مقتبل العمر وتركت لك أن تنظر عن يمين فلا تراها ، وان تنظر عن يسار فلا تراها .. فاذا أنت تظل لك عيناك اللتان تبرقان هذا البريق الحاد وكأنهما تريدان النفاذ الى ما وراء الأفق تصافحان هذه الروح التي غادرتك وأنت في سن الثانية .

أكانت من هنا ولادة الشاعر الذي غنى للأيام ، في حركة تسام فوقها وانتصار عليها ، أروع الاغنيات ، أكانت غيبة هذا الوجه المضيء هي التي فجرت عندك في أغوارك عواطف متدفقة لاتنضب ؟.. أليست هي مصدر ضعفك الانساني الذي تستجيب له في أشد مواقفك الواقعية صلابة .. ألم تكن تلك أعرض نوافذك على الناس وأوسع أبواب الناس اليك ؟!

ولكن اليتم الذي كشر لك عن نابه ورماك بهذا الحدث وأنت لاتحسن اللغى والكلمات لم يكف عنك .. أمهلك سنوات خمسا أخرى تطالع فيها وجه أبيك ، وتسمعه ، وترى في نظراته من الحب لك ومن العطف عليك ما لم ير إخوتك ، حتى اذا بلغت السابعة كان لهذا اليتم مع الناب ظفر ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومع الرمح سيف ، واذا هو يلقاك بالضربة الثانية سنة ١٩٢٥ فيذهب بأبيك عنك الى ما وراء الحياة ، ويتركك تمشي هـذه الخطوات بين باب السريجة ومقبرة باب الصغير ، المشيعون من حولك وعيناك ترودان تسألان أين يذهبون به ..

أكنت أيها الصديق بدأت كلمتك اليتيم ، هذه القصيدة من قصائدك الرائعات ، في سنتك الثانية ؟. أتراك كنت تكتب منها بيتا أو أبياتا حينا بعد حين ...

أما كفالة جدك وأعمامك فأنت لاتنسى ذلك ، تتحدث عنه حديث الوفاء اذا تحدثت ، وتكتبه من وراء دموع التقدير اذا كتبت .. وتشيد به دائما .. لم يكن ذلك فضل أسرتك فحسب ولكنه فضل التعاليم التي تحيا بها أسرتك والتي كان يحيا بها مجتمعك .. حين كان يجد في اليتم عبقا من عبق النبوة ... وحين كان يرى في كل يتيم تذكيرا له بسيرة النبي الأعظم (ص) .. وحين كان يردد في تعابيره ومجالسه هذا الحديث النبوي الذي يؤلف عصبا من أعصاب حياتنا الاجتماعية : أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين : ونشير كما كان يشير صلوات الله عليه بهاتين الاصبعين المتجاورتين .

لم يكن الطريق طويلا بين السابعة حين غاب عنك وجه أبيك وبين الثلاثينات حين بدا وجهك للناس من خلال قصائدك الاولى التي نشرت سنة ١٩٣٤ .. بدأ هذه البداية المتألقة .. أضاء ما بين طنجة ورباط الفتح حيث عرفك الناس بعد استاذا لهم ، وما بين أقاصي اليمن حيث كانت تضيء مجلة الرسالة : سقيا لعهودها ورحمة لصاحبها شيخ هذا الجيل وصاحب الفضل عليه ..

لقد بدأت تعلمك في كتاتيب دمشق .. حيث كان الطلبة يجتمعون أو يتكدسون لايعرفون فوارق ولا طبقات تجمعهم غرفة الشيخ وعصاه على العلم المفروض

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتفرقهم يد الزمان على ميادين السعي ومجالات الحياة . ولكنهم يظلون اخوة من غير محاسدة، ومواطنين من غير افتراق ، لأن الذي يربطهم كان عهدا لله على أن يكونوا له حيث يكونون .

وساقتك الكتاتيب الى المدارس الرسمية .. ترى من الذي حبب اليك الأدب ؟ أهو أبوك الذي قلت « انه كان ، بالاضافة الى العربية ، متقنا للتركية وملما بالفرنسية والالمانية ، ويخيل إلي أنه كان ذواقة للأدب إذ ما أزال أذكر أني رأيته وأنا طفل في السادسة أو السابعة من عمري ينسخ بخطه رباعيات الخيام العربية من نسخة أعاره إياها أحد أصدقائه » .

أكانت قراءاتك هي التي حببت إليك الأدب .. أكان واحداً من معلميك الذين لم نعرفهم ..

أكانت حياتك التي كنت تبنيها على اليتم هي التي تشقق من بين يديك الطريق الى حياتك الأدبية المقبلة ... من يدري .. ولماذا يجهد الناس أنفسهم في أن يعرفوا كل شيء ؟ الثمرة الناضجة.. اننا نحب أن نراها هذه الزهرة الوردية التي يكسوها الطل وتنبت لها أوراقها البيض وتحفها من حولها الأوراق الصغيرة الخضر .. ولكننا لانستطيع أن نرى الثمرة والزهرة في آن ... في (عنبر) وجدت مدرستك الثانوية، أي اسم في تاريخ هذا الوطن .. أي رنين عميق يأتي من الماضي كأنه يأتي من أعماق حصن بعيد ، ويمتد في المستقبل كأنه شارة خلود .. أي أطياف يثيرها عندنا ـ عنبر هذا الجيل ـ هذا الاسم .. هذا البيت العتيق ـ واستغفارا لهذا التعبير ـ الذي خرج منه العلماء والأدباء والشعراء ، خرج منه الثائرون والمصلحون .. عنبر هذا القلب الذي صاغ نبضه الحي مسيرة هذا الوطن الصغير ثم جاوزه الى الوطن الكبير مع هؤلاء الذين خرجوا يتدبرون أمصار هذا الوطن الكبير فوجا بعد فوج ووطنا بعد وطن .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في عنبر تفتحت عبقريات .. أمجد الطرابلسي أحد هذه العبقريات الفذة. الذين بدؤوا يقرؤون قصائده الأنيقة في الرسالة في طول الوطن العربي وعرضه عرفوه بهذا الاسم .. ولكنهم لم يلمحوا صورة له فيما كانت تنشر « الرسالة » لكتابها وشعرائها من صور .. لقد ترك الشاعر للناس أن ينسجوا صورته بالخطوط والألوان التي يبيحها شعره والهالات التي كانت تنشرها قصائده .

انني لا أملك أن أتحدث عن عنبر الحديث الموجز .. ومن الخير لذلك أن أتجاوزه .. ولن أكون ظالما لعنبر ولا للوطن لأنك ستتحدث أنت عنه ، أو عن ملامح منه ، لاشك ، حين تتحدث عن البزم أحد أعلامه العالية .. ولقد تحدث عنه من قبل اولئك الذين تحدثوا عن الاستاذ الجندي وعن الاستاذ المبارك ، وتحدث عنه باحث مرموق هو الاستاذ ظافر القاسمي في كتاب كان عنونا من عناوين الوفاء لهذا الوطن .. ولكن الصورة لن تكتمل لأن صورة عنبر هي صورة الوطن في جوانب من جوانبه .. ومن ذا الذي يملك أن يؤطر الوطن : تاريخه وأحداثه وآماله في صورة ..

ما الذي كان يراود أمجد الطرابلسي وهو يرى اسمه يتردد في وطنه الكبير على أمواج هذه الرسالة الخالدة .. بعد أن جاز امتحان البكالوريا ـ قسم الفلسفة سنة ١٩٣٤ وقرأ له الناس قصائده : اليتيم ، وعاصفة في قلب ، وعرس في مأتم .

لو كان أمجد الطرابلسي من بعض هذه الأجيال التي تتعجل مستقبلها حتى لتوشك أن تحرق مستقبلها ومستقبل وطنها في أتون الأطماع التي لاسند لها والطموح الذي لا رفد وراءه والتطلع الذي لاتدعمه ذاتية ناضجة ، لكان الذي يراوده شيئا من غرور وشيئا من استعلاء .

ولكنه كان من هذا الجيل الذي يؤمن بالعمل فوق ما يؤمن بالنظر ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والشعارات عنده لاتقوم مقام التطبيق ، والأمنية لاتنقلب بالترداد واقعا ، والنصر ليس انشودة .. كان من هذا الجيل الذي لايوازن بين حق الوطن وحق المواطن ولكنه يعطي الوطن قيمة صوفية عميقة مجردة تتضاءل كل قيمة أخرى أن تطاولها ، بله أن تقاسمها الوجود ..

ولذلك يحمل أمجد الطرابلسي الذي كان شعره على شفاه المثقفين والمتذوقين في الوطن العربي كله ، يحمل أمتعته ذات يوم من خريف عام ١٩٣٥ ، يترك وراءه دمشق ويمضي الى الجنوب مع بداية العام الدراسي .. يريد أن يصل الى جبات الزيت ، ويمر بالقنيطرة .. ان أحدا ، حتى الشعراء الذين فيهم شيء من حدس الغيب لم يكن يعرف القدر الطارىء على هذه المدينة المظلومة .. ولكننا نعرف جميعا أن القدر لايرضى عن الظلم .. ان شأن المدن المظلومة شأن الناس المظلومين لابد لهم أن ينتقموا ولا بد لهم أن يثوروا بظلمهم ، حتى تضيء العدالة الأرجاء ، وحتى ترتفع رايات الوطن فوق مرتكزاتها على قمم الجبال ورؤوس المرتفعات ، خفاقة .. وحتى يعود أصحاب الأرض الى الأرض . وكذلك مضى أمجد الطرابلسي يعلم أطفال وطنه في القرية الأبجدية .. في الوقت الذي كانت فيه قصائده تضيء كالشموع طريق هذا الجيل الجديد تغني ذاته حين تغنّي هذه الذات ، وتصقل نفسه حين تنفض بين يديه عواطفه وآراءه ، وتبصره الطريق حين تثير ماضيه وتصور مستقبله .. وتغمسه في الواقع غمسا بعيدا عن الأماني الكاذبة والأحلام الخادعة ، وتعلمه اذ تقول له :

لدمعة وأنا مستيقظ أرق أحب من حلم كالزهر بسام

وكذلك بدا يتخذ سمته الجديد نحو أن يكون المعلم الذي يملأ التعليم والتوجيه والارشاد والتثقيف وجوده ، لايرى أحلى من حياة الطفولة والمدرسة :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفتيـــة همهـــم ملعـــب وكلهم كالزهر غض الصبـا
ضمتهـم للعـلم فينـانـة كما يضم الدوح سرب القطا
يافرحـة الأطفـال لو أنهـا تدوم للانسان طـول المدى

ثم تتتابع الأحداث تصوغ حياته على هذا النحو :

ينتسب عام ١٩٣٦ الى صف المعلمين العالي ويحصل على شهادته ثم تندبه وزارة المعارف لتدريس اللغة العربية في ثانوية الكلية العلمية الوطنية ويكون من حسن حظه كما يقول ــ وهو المدرس الناشىء أن يزامل الاستاذ المرحـوم خليـل مردم بك الرئيس الأسبق للمجمـع العلمي العربي .. أكانت تلك ، أيها الأخ ، حركة جديدة في سياق هذه القطعـة الموسيقية الرائعة التي هي شعرك ؟

ويسافر الى فرنسـا أواخر سنة ١٩٣٨ أثر نجاحـه في المسابقـة للتخصص في الأدب في جمـلة الذين سافروا آنـذاك .. وكان منهـم بعـدُ طائفـة من أبرز شبـاب الوطـن ورجـاله .. وكان يقـدر أنهـا سنوات ثلاث ينقضين ثم يعود .. ولكن الحرب العالمية الثانية تفاجئـه هناك ، وتقطع ما بينه وبين وطنه السبيل .. غير أنه يظـل يعد العـدة لخدمة هذا الوطن فينجز الليسانس ثـم ينجز الدكتوراه ويعود عـام ١٩٤٥ ، ليعمل أول ما يعمل ، مدرسا في ثانوية التجهيز (جودة الهاشمي اليـوم) .

من هنا عرفتك أيها الصديق وجها لوجه ، ومن قبل ما عرفتك مـن خلال قصائد (الرسالة) . كنت أنا آنذاك حديث العودة من القاهرة أتطلع الى متابعة ما بعـد الليسانس .. وكنت حديث العهد بالعودة من باريس تتطلع الى انشاء كلية الآداب ليكون لك فيها عمل أي عمل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويرحم الله الاستاذ الجليل العلامة ساطع الحصري .. كان حينذاك يصنع التاريخ عن طريق الثقافة .. أمسك بالاصالة ، وقال هذا هو طريق الوطن .. التبعية الفكرية ليست دون التبعية السياسية. ولذلك كان لابد عنده من كسر خط الموازاة ، هذا الذي يربط البرامج السورية ببرامج من وراء البحار .

ودعا ساطع الحصري الى انشاء كليتي الآداب والعلوم .. ثم أنشأهما .. فوضع لمسيرة الوطن هاتين الساقين : واحدة في اتجاه الذات وأصالتها وتاريخها وتراثها وواحدة في اتجاه العالم حركته ومعرفته وعلمه ... وهل من عجب أن يكون أمجد الطرابلسي أول من أختيروا لتدريس الأدب العربي في كلية الآداب .

ومع أول محاضرة ألقاها في الكلية بدأ رحلة طويلة قدرها اثنتا عشرة سنة .. يقول هو عنها انها أسعد سني حياته .. ولكن أليس في وسعنا أن نقول نحن عنها إنها أغنى السنوات ـ عطاء للوطن وسدانة للعربية وحماية لها .

ومن ذا الذي يماري في ذلك .. لقد رفعت أيها الصديق قواعد من حياة وطنك اللغوية والأدبية خلال هذه الأعوام الخصيبة .. كنت فيها مثلا للوفاء الوفي .. كما كنت مثلا للجهاد الصابر :

أما أنك كنت مثلا للوفاء الوفي فذلك لأنك أهدرت كل حق لذاتك ؛ تجاوزت عن كل رغباتك وميولك ، وأدت عواطفك وأدا .. قلت لربة الشعر ، حين كانت تطيف بك تهبك أحلى ما عندها ، انك تتعبد في محراب آخر .. محراب هذا القرآن في لغته وأدبه وثقافته وتراثه .. فلا على ربة الشعر اذن ان صمتت ، لا عليك اذا أنت تجاوزت حياة المشاعر والأضواء والعواطف ..

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والصوت الذي يصل الى كل بلد ، والقصيدة التي تدخل كل بيت .. كان ذلك وفاء للمهمة التي أردت أن تنهض بها : تحقيق وجود هذا الوطن النفسي وترميم حياته الداخلية .

من أجل هذا الوفاء للفتك وأدبها وقرآنك وتراثه أسكت كل نأمة في نفسك .. آثرت أن تقول الكلمة النافعة في صف أو في مدرج لايسمعها الا المئون ، على أن تقول الكلمة الجميلة يسمعها الملايين .

ولم تكن معبونا أيها الصديق ـ أريد أن أقول لم يكن وطنك مغبونا ، لأنك لم تكن تفكر في الربح والخسارة .. وانما كنت تفكر في جدوى أن تنشىء هذا الجيل الجديد في رحاب كلية الآداب ، لتنشىء من ورائه هذا الجيل الجديد في رحاب الوطن كله : اعداديات وثانوياته ومدارسه الابتدائية .

وأما انك كنت مثلا للجهد الصابر .. فذلك للذي عرفه فيك زملاؤك كما عرفه فيك طلابك .. كنت تدخل الجامعة في الصباح ثم لاتخرج منها إلا مع الليل .. وبين ذلك ساعتان قصيرتان للطعام والبيت .. وكنت أراك تعود مع قسوة الساعة الرابعة الى هذه الغرفة التي كان فيها القسم ، منكبا على كتاب تقرؤه أو نص تحققه .. هل تسمح لي أن أقول لك أيها الأخ الصديق أن سيرتك في ذلك علمتني أشياء .. لقد كنت أتساءل : ولكن لماذا لا يكون العمل في البيت بعد أن انتهت ساعات التدريس .. ثم أدركت موقفك حق الادراك بعد ، حين تعمقت العمل في الكلية .. حين تيقنت أن الكلية ليست الدرس والمحاضرة فحسب وانما هي فوق ذلك هذا اللقاء بين الطلبة والكتب وبين الطلبة والاساتذة .. واستبان لي من خلال الممارسة أن كلمة في هذا اللقاء كانت تفجر قوى ، وخطوطا على وظيفة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

طالب كانت تفتح عبقرية ، وكتابا بين يدي طالب كان يبتعث جديدا .

لم تغادر الكلية مرة واحدة خلال هذه الأعوام الا مشاركا في مؤتمر أو قائما بمهمة اطلاع على قلة ما كان ذلك منك .. كنت آخر من يدخلها بعد امتحانات الصيف وأول من يدخلها مع امتحانات الخريف .. وكنت حريصا على أن تتابع كل شيء في حركة الادارة وفي حركة الدراسة على حين يؤثر بعضنا جانبا من ذلك على جانب أو التسامح في جانب على حساب جانب .

قلت إنها سنوات العطاء .. وبهذا المعنى قلت ـ أنت ـ انها سنوات السعادة ... آثرت أنا التعبير الأول لانه تعبير عن هذا الخير المتصل ، وآثرت أنت التعبير الآخر ، لأنه تعبير ذاتي .. أردت أن تمن به على نفسك بديل أن تمن على وطنك .. وما كان للإنسان أن يمن على الوطن .. ولكن ما كان للوطن أن ينكر جهود انسان من أبنائه أو أن يطمسها .

في هذه السنوات كنت مثلا للايثار .. لم تصنع ، ولم يصنع اخوانك وزملاؤك ، كتبا كثيرة .. لأنك كنت تعمل عملك الصامت هذا في صنع هذه الأجيال التي تخرجت من القسم ومن الكلية .. كلهم مدين لك على نحو من الدين .. فاذا جاء الوطن يهبك أرفع مناصبه العلمية ـ فانه لايفعل شيئا الا أن يرد لك هذا الدين أو بعضا منه .

كان في وسعك ـ وما أيسر ذلك عليك ـ أن تنصرف الى آثارك المباشرة .. أن توزع جهدك بين دراستك وتدريسك .. ان تصيب بعضا من هذه الحظوظ التي نحبها جميعا لأنفسنا اذ ننجز كتابا أو نحقق أثرا .. ولكنك أدركت في إيثار مؤثر خيّر عميق ، أن الكليات الناشئة تحتاج الى كثير من التقاليد أكثر مما تحتاج الى كثير من الكتب .. ان النموذج الحي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ممثلا في الانسان الذي تصنعه ابعد أثراً في الهداية من الكتاب الذي تنشره .. ان سمعتها الصحيحة ـ هذه الكليات ـ ليست في عدد الكتب التي تطبعها بقدر ما تكون سمعتها في دروسها التي تجددها ونماذجها البشرية التي تصوغها .

أتراني أطلت .. ولكن حياتك الحافلة هي التي تدفع بي الى الحديث عنها .. اني أشعر وأنا اكتب اني أنساب كانما انطلق بجناحين .. لم احتج لحظة توقف .. لان لك هذه الفضائل الكبرى التي تملأ العقل والقلب معا ..

* * *

اني لا أحب أن أتحدث عن الجوانب الرسمية من حياة الناس ولكن حياتك بعد ذلك حين خرجت من الكلية لم تكن قط هذه الحياة الرسمية التي يحياها الوزراء واصحاب السلطان .. ولم نعرفك من خلالها الا كما عرفناك من قبل .. رسالتك هي رسالتك .. غرفة الوزارة لم تكن غرفة أخرى غير غرفة الدرس والمحاضرة .. لم ننس في يوم أنك من أجل هذا الوطن : من أجل لغته ومن أجل معرفته .. اتسع الأفق أمامك فلا بد من ان تتوزع جهودك على طول هذا الافق وعرضه ولكن تظل هذه الجهود في سبيل العلم والمعرفة واللغة ..

لقد استجبت الى نداء جديد بعد سنواتك الاثنتي عشرة في الكلية ١٩٤٦ ـ ١٩٥٨ .. في السنوات الثلاث التي بعدها وهي أحلى السنوات في تاريخ الوطن وأحفلها بتجاربه، وأقواها أثرا في مستقبله ومستقبل العروبة، سنوات الوحدة ـ كانت في آذاننا أصوات من كل فج وفي نفوسنا تطلعات في كل أفق وفي قلوبنا آمال هي أغنى الآمال .. كنا نشعر اننا نصوغ من جديد حياة العرب بعيدا عن اقليمياتهم وعن تخلفهم .. وكنا نحس اننا نصل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ما كان انقطع من هذا التاريخ ، واننا بدأنا رحلة الوحدة بعد رحلة الاستقلال ولذلك توزعت مئات من الشباب ميادين عمل جديد .. كانت وزارة التربية في الاقليم السوري اولا ثم وزارة الثقافة مضافة اليها بعد ذلك ، ثم وزارة التعليم العالي في الجمهورية العربية المتحدة ـ كانت تلك على التعاقب ، الميدان الذي عملت فيه .. لم يكن ميدانا جديدا قدر ما كان متابعة للميدان الاول في خدمة اللغة والآداب والثقافة .

ولكن التجربة ، وارحمتاه للوطن المتعثر ، آلت الى غير مصيرها الطبيعي الذي كان يجب أن يحكمها وانفرط العقد وفي العين دموع .. وخرج الذين خرجوا وبقي الذين بقوا .. اولئك وهؤلاء كانوا على أرض الوطن .. أما الذين هنا فكانوا يظللهم علم الوطن الصغير .. واما الذين خرجوا فقد أظلتهم اعلام الوطن الكبير .

وحين انطوينا على الجرح لم نفقد الامل .. لم يقعد بك التقاعد وانما شد من عزمك .. واختارك المغرب استاذا للادب العربي والادب المقارن في جامعته .. والتقينا جملة طيبة من اساتذة جامعة دمشق هناك في الرباط وفاس ومراكش .. وسيذكر التاريخ هذه الجملة الطيبة من الناس حين يسجل هذا الانعطاف الكبير الذي حققته في تاريخ الحركة العلمية في المغرب العربي .. وسيذكر هذه المجموعات من الاساتذة في ليبيا والجزائر والمغرب حين يذكر التعريب والعودة بهذا الجناح من الوطن العربي الى اصالته الاولى .

* * *

اتراني أستطيع أن أتحدث عن آثارك بعد أن تحدثت عن مواقف وملامح من حياتك ؟

ولكنني ايها السادة لم أفصل ، وما كان لي ان أفصل بين الحياة وبين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الآثار . انهما هذان العنصران المتكاملان. ما يبدو أنه موقف حياة هو أثر أيضا ، وأن لم يكن أثرا مطبوعا ولكنه أثر حي يتمثل في هذه المجموعات من الخريجين الذين يملؤون قاعات الدروس في الثانويات وفي الجامعة والذين يحتلون المراكز الكبرى في الادارة وفي السياسة .. ان الآثارالمكتوبة مواقف، وانالمواقف آثار شخصية.. وكلاهما منفض إلىنظيرهمنتهاليه.

أ ــ ان كتاب « النقد واللغة في رسالة الغفران » موقف من الادب العربي .. انه النظرة الجديدة الى هذا الاثر الخالد .. كان الناس يعرفون منه جانبه الادبي ويقفون عند بنائه التصويري المبدع .. يغفلون عن أن ابا العلاء كان له من بين هذه المواقف التصويرية هدف نقديوهدف تعليمي ، فجاء كتابك يكشف هذا الجانب ويبشر به ويدل عليه .. لقد بدأ يستبين مع هذا البحث أبو العلاء الناقد وأبو العلاءاللغوي. وعلى هدي منه وفي ضوء من إثاراته كتبت رسائل وفصول متعددات .. ووقع الباحثون في أبي العلاء على جوانب ما كانوا وقعوا عليها من قبل .

ب ــ وكتاب « نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب » موقف آخر .. انه يعبر عن اتجاه من أبرز الاتجاهات التي دعوت اليها وعملت لها .. ذلك هو الاتصال المباشر بالنصوص وتجاوز المرحلة التي أخذ فيها الأدبوأخذ بها بعض دارسيه : استغراقا في النظرياتواستباقا معها، دون ان يكون وراء ذلك هذه النصوص التي تشهد عليها او تفهم بها .. اني أزعم ان هذا كان سمة من أوضح السمات التي أخذ بها قسم اللغة العربية في دمشق ودعا اليها .. لم يكن هذا رأيي اليوم ولكنه كان رأييي منذ أن جئت الكلية وشهدت الاتجاه فيها .. كنت في القاهرة مشدودا الى هذا الاتجاه فيما قرأت على عديد من أساتذتي الأجلاء : أمين الخولي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وطه حسين وأحمد امين وابراهيم مصطفى وعبد الوهاب عزام .. فلما جئت دمشق وجدت ما كنت أتمناه بل لعلي وجدت فوق ما كنت اتمناه من صنيعك وصنيع زملائك واخوانك من حولك : الاستاذ العميد شفيق جبري والاستاذ سعيد الافغاني .

ولكن النصوص تحتاج الى معرفة المصادر في الادب واللغة والتاريخ والتراجم .. فكان لا بد من أن يتعرف الطلبة الى هذه المصادر ، وكان هذا هو الذي حققه كتاب الدكتور الطرابلسي .. وبذلك كانت دمشق البلد الاول الذي صاغ لهذه المادة كتابا وجعل هذا الكتاب بين أيدي الطلاب .

ج ـ وكتاب « شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشام » .. ماذا أقول فيه .. اذكر أنك كنت غاضبا لان حظه من الطباعة كان سيئا ولكنك جدير بالرضى عنه لان حظه من الحقيقة الادبية كان حظا كبيرا .. حسبكم منه هذا العنوان الصادق الدقيق .. انه لم يسم ذلك ، في لحظة انفعال، شعرا قوميا .. كانت براعم الحركة القومية لم تتشكل بعد ولم تكن القومية بمفهومها هي التي كانت وراء هذا الشعر لانه كان هنالك نوع من ولاء جديد يريد ان يزاوج الولاء القديم .. ولم يقل : شعر العروبة ، فحسب ولكنه قرن الكلمة الى أختها : شعر الحماسة ، فأحيا هذه الكلمة القديمة .. لان هذا الشعر الجديد كان أحياء لهذا المفهوم من شعر الفضائل والمثل .. ولم يقل شعر الحماسة والعروبة في سورية ولكنه قال : في بلاد الشام .. فلم يكن هناك ، ولا ينبغي أن يكون على المدى البعيد والغايات الكبرى ، شيء اسمه سورية وحدها وانما هنالك هذا التعبير الذي يجب ان يعاود وان نعود اليه : بلاد الشام . أفترون دليلا أدل على الدقة من هذا العنوان.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

د ـ أما «زجر النابح» فحسبك أن تكون أول من دل عليه وتنبه اليه.. لقد وقعت على كنز ثمين .. وان صلتك بأبي العلاء لتبدو أوضح صلاتك بالتراث .. انك معه في رسالة الغفران ومعه في هذا الكتاب .. بل انك معه في بعض شعرك .. وأرجو أن توفق الى تحقيق ما نطمع ان يتحقق كتاب « الصاهل والشاحج » ، لأنك بذلك تكشف للوطن العربي عن جوانب من أبي العلاء الذي لم نعرف .

هـ ـ تمنيت لو كان هنالك فسحة من وقت .. اذن لتحدثت عن رسالتك رسالة الدكتوراه .. وأنا أعرف أنك معني بترجمتها بعد أن طبع أصلها بالفرنسية في مطبوعات المعهد الفرنسي بدمشق .. ولتحدثت كذلك عن بحوثك التي لا تزال بين يديك صياغتها وبين يدي طلابك مادتها : اللفظ والمعنى ، والرجز ، والغفران من الوجهة الادبية .. ولكن اذكر ما كان من اصرارك دائما على ان يكون حفل الاستقبال أشد ما تكون الاحتفالات تواضعا وايجازا ، فأقصر .

★ ★ ★

لم أقل بعد أيها السادة الا أقل الاشياء .. انه لا بد لي ان أتحدث عن شيئين آخرين من آثار الدكتور الطرابلسي : محاضراته وشعره :

أما المحاضرات فكثيرة هي ، تتوزعها عواصم الوطن العربي : محاضرة حلب عن « الادب العربي بين الادب القومي والادب الانساني » (١) . ومحاضرة الجزائر عن « ابن قتيبة » التي كشفت فيها عن هذه الصلة بين التيارات النقدية والحياة الاجتماعية ابان ازدهار الدولة العباسية (٢)

(١) نشرت في مجموعة « المحاضرات العامة لعام ١٩٥٢ » من منشورات دار الكتب الوطنية بحلب .

(٢) نشرت في جريدة الشعب الجزائرية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومحاضرة الكويت عن « شعراء الشام والفكرة العربية خلال النصف الأول من القرن العشرين » (١) .

رجوت لو وقفت عندها كلها .. رجوت بخاصة لو وقفت أشيد بمحاضرة لك ما أنسى طعمها اللذ ولا إثاراتها البعيدة .. ومن الذي ينسى من زملائك وإخوانك محاضرتك عن تضامن الفنون(٢) ، عن النظرية وعن الأمثلة الرائعة التي استمددتها من أدبنا العربي ومن الآداب الاجنبية .. لقد كانت جديدة الجدة كلها ، واعمت فيها على نحو فذ بين الفن والفلسفة والادب .. لقد مثلت ثقافتك الفنية وثقافتك الادبية ، ثقافتك الغربية وثقافتك العربية .. انك في هذه لم تحبب أدبنا العربي الى الذين استمعوها فحسب، ولكنك حببته الى بعض دارسيه أيضا .. انها جدة غنية في تفكيرها وفي أمثلتها ، وفي التذوق الرفيع الذي كانت تنبض به كل كلمة من كلماتها أو جملة من جملها .

ويبقى بعد ذلك أني أحب ان أقف بخاصة عند محاضرة لك في الكويت كذلك عام ١٩٥٦ عن قرطبة « تأملات وذكريات في حرم المسجد الجامع في قرطبة(١)» لان كثيرين منا هنا لم يقعوا عليها .. لعلك نسيتها أنت .. اما الذين اتيح لهم ان يقرؤوها ، أريد أن ينتشوا بها ، فانهم لا يزالون كالثملين من كل مقطع فيها .. للذي أبدعت وصفه بقلمك هذا المرهف، وللذي أحسنت اقتباسه بذوقك هذا المصقول حين اخترته اولا ثم حين انزلته في سياقه من المحاضرة، فعل الصانع الماهر حين ينزل قطع العاج في مكانها من لوحة رائعة .. وقد انطلقت فيها من انك العربي المسلم المفرم بالتاريخ المشغوف

(١) نشرت في معارف الكويت محاضرات الموسم الثقافي الثاني ١٣٧٥ ـ ١٩٥٦ دار المعارف بمصر .

(٢) نشرت في المحاضرات العامة للسنة الجامعية ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣ « الجامعة السورية » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بالأدب تتيح له الأقدار أن يطوف في ربوع الأندلس .. فاجتمع على صياغتها أدبك وثقافتك التاريخية ، عقيدتك وحسك المرهف ، بصيرتك الرائدة وبصرك الحاد .

وددت لو أذنتم لي أيها السادة فقرأت عليكم من أمثال هذا الوصف الذي يرتفع الى أن يكون شعرا :

(الف عمود من المرمر الملون ما بين أبيض وأخضر وأحمر ، قد انتظمت صفوفا متوازية لا يدرك لها الطرف نهاية ، وألفت بينها الأقواس المضاعفة المخططة بالبياض والحمرة ، وارتفعت فوقها السقوف المقببة الشامخة . لقد كنت أتوقع أن أرى كل شيء الا هذا الحلم الرائع فنسيت لحظة انني أمام آبدة من أوابد الماضي وخيل الي أن السواري المتراصة قد دبت فيها الحياة ، فأخذت تنقل الخطا على ايقاع الزمن وأن هذه الحنايا المضاعفة المخططة أخذت تترنح نشوى في الفضاء ، وانني أمام عبد الرحمن الداخل صقر قريش يستعرض مواكبه المظفرة في أحد ميادين قرطبة !)(١) .

ما أشد ما كان من حنينك الى دمشق في هذه الزيارة وما أحلى ما ربطت بين دمشق وقرطبة ، فأجريت على لسان دليلك القرطبي الاسمر الذي يتحدر ــ لا شك ــ من أصل عربي هذا البيان السائغ العذب : (ان قرطبة عربية أموية دمشقية ، فهي ابنة دمشق البكر ، وكل ما فيها انعكاس لحضارة بني أمية هناك . لا أعتقد أن بينكم من يعرف دمشق وأنا ايضا لست أعرفها ، ولكنني قرأت وحدثت عنها كثيرا . فكنت كلما ازددت

(١) معارف الكويت : محاضرات الموسم الثقافي الثاني ١٣٧٥ ــ ١٩٥٦ دار المعارف بمصر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

معرفة بها ازددت اقتناعا بوحدة المدينتين والمدنيتين . لقد رأيتم هذا الصباح بعض بيوتها بساحاتها وبركها واشجارها ورخامها . ويقال ان بيوت دمشق لا تختلف عن هذه البيوت في شيء . ان المرأة القرطبية تمضي في طريقها منتصبة القامة شامخة الرأس تشق طريقها بنظراتها الهادئة الرصينة كنساء دمشق . والكرم أصيل في طباع أهل هذه البلدة اصالته في طباع أهل دمشق . وان قرطبة لتنبسط في اكناف «السيرامورينا» كما تنبسط دمشق في سفوح لبنان الشرقي ، ويخترقها الوادي الكبير فيروي بساتينها ومتنزهاتها وقصورها كما يخترق دمشق نهرها فيروى بيوتها وجناتها . كل شيء هنا انعكاسة عن شيء هناك . بل انظروا الى لون بشرتي وبشرة مواطنيّ فهو خير دليل على ما أقول ... ان الفن الذي اعجبتم به في هذا المسجد هو الفن العربي القوي ، فن جامع دمشق والمسجد الاقصى في بيت المقدس وليس هنالك من فارق الا أن أحفاد الامويين الذين عمروا قرطبة أرادوا ان يقيموا الدليل على أن الولد النجيب كثيرا ما يبذ أباه(١)) .

أتذكر وصفك بعد ذلك لعبد الرحمن الداخل ، فتى قريش الاحوذي الفذ « ذاك الفتى الاصهب ذي الضفيرتين ، الخفيف العارضين ، الطويل القامة ، النحيف الجسم(٢)) . وكيف تتبعت حركته في أدق عبارة وأوجزها من لدن ان ترك المشرق هاربا متخفيا الى أن جدد المشرق في المغرب مطمئنا واثقا .

لم يكن الوصف وحده سبيلك في محاضرتك هذه ، وانما اتكأت على اسلوب آخر .. استثمرته أحلى استثمار واستقطرت منه أطيب البيان ،

---

(١) المصدر نفسه ص ١٧٤ ـ ١٧٥ (٢) المصدر نفسه ص ١٧٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك هو هذه المقارنات التي عقدتها بين الاشياء والاشخاص وما كان أحلى هذه المقارنة بين مسجد قرطبة وبين غرناطة .. بين الفن هنا والفن هناك (ان السائح الذي ينقل الخطا بين غرف الحمراء وجنة العريف قد يرنحه السكر ، وقد يخبله السكر ، ولكنه لا يسعه متى خلا بنفسه ، الا ان يعترف بأن فن الحمراء هو (فن) دولة مترفة مفرقة في النعيم والبذخ والاناقة ، دولة مشرفة على الانهيار .. ولكن انظروا الى وضوح الفن القرطبي وصفاته ، وصلابته .. انه فن صحيح البنية ، ينتصب بجرأة على ساقيه المفتولتين ويتطلع الى المستقبل بابتسام واطمئنان .. انه فن دولة تبنى وتشاد(١)) .

اما استخدام حكايات التاريخ ونصوصه التي احسنت اختيارها وأحسنت سوقها فقد بلغت من ذلك أن بدت لنا وكأنما ذاك أول عهدنا بها . كأنها ليست النصوص التي عرفناها وقرأناها مرات من قبل عند المقرى أو عند ابن سعيد او عند ابن حوقل .

وكشأنك دائما ، شأن هذا الجيل المؤرق الذي يحمل هموم أمته على كتفيه ، لم تكن الكاتب الشاعر الذي يخلص لفنه وانما كان يستصفي فنه لقضيته الكبرى . من أجل ذلك تجاوزت هذه المقارنات بين الأشياء والاشخاص الى هذه المقارنات بين الاحداث .. فاذا أنت لا تربط بين المعتمد (وقد رأت زوجته اعتماد التي كان يحبها حبا لا حد له ، نساء البادية في اشبيلية ذات يوم يبعن اللبن في القرب وهن رافعات عن سوقهن في الطين . فقالت للمعتمد يا سيدي : أشتهي أن أفعل أنا وجواري مثل هؤلاء النساء . فما كان منه الا ان أمر بالعنبر والمسك والكافور وماء الورد وصير الجميع

(١) المصدر نفسه ص ١٧٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

طينا في القصر وجعل لاعتماد وجواريها قربا وحبالا من الحرير ثم خرجت هي وجواريها تخوض في ذلك الطين(١)) انك لاتربط بين المعتمد ملكا مترفا في هذا النعيم وبين المعتمد أسيرا في اغمات في الصحاري (يفاجئه العيد في سجنه فيفتح السجان عليه الباب واذا بنات المعتمد يدخلن على ابيهن حافيات ضامرات يجررن اطمارهن يردن ان يباركن لابيهن بالعيد فيزوى المعتمد وجهه ويأمر أن يغلق عليه الباب وينشد ابياته التي منها هذا البيت يصف بناته :

يطأن في الطين والاقدام حافية كأنها لم تطأ مسكا وكافورا(٢)

انك لا تربط بين هذين وانما تقفز بموضوعك هذه القفزة الكبرى فتسجل هذه الصرخة التي تبتعثها الآلام من أعماق وجدان مؤرق :

(تراه حين قال هذا البيت كان يفكر في الطين ؟ أتراه أدرك اذ ذاك ان كل يوم من أيام ذلك الطين لا بد ان يعقبه يوم من ايام اغمات ؟ اتراه ادرك ان الترف الى زوال والقصور الى دمار ، وانه لن يخلد الملوك ــ تريد الملوك والرؤساء واصحاب السلطان ــ الا العمل الصالح في أنفسهم وخيراتهم)(٢) .

وأرجو أيها السادة أن تسامحوني اذا أنا لم أحدثكم عن خاتمة المحاضرة. ان يدي ترتجفان كما سيرتجف مني الصوت وأنا انقل هذا المقطع الذي جاء آخر المحاضرة .. لم يصفه التشاؤم قدر ما صاغه النظر النافذ .. أأنت أيها الزميل على ذكر مما قلت عام ١٩٥٦ في الكويت تقفل هذه المحاضرة :

---

(١) المصدر نفسه ص ١٨٣ (٢) المصدر نفسه ص ١٨٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(لقد حدثتكم عن المسجد الجامع في قرطبة كما رأيته وقد مضى على خروج العرب من الاندلس اكثر من خمسمائة عام . فادعوا الله معي الا يرينا في حياتنا ، والا يري ابناءنا وأحفادنا من بعدنا يوما يأتي فيه رجل مثلي فيحدثهم بقلب موجع عن المسجد الاقصى كما حدثتكم اليوم عن مسجد قرطبة)(١) .

ما كان أقصر الشوط بين ١٩٥٦ و ١٩٦٧ .. ولكن الغمة لن تطول ولن يكون هذا اليوم . وانما نحن في رحلة تشبه أن تكون المرحلة بين نور الدين وصلاح الدين .. ان دماء المستشهدين تصوغ صلاح الدين وانه لآت آت اذا نحن عرفنا أنفسنا هذه الامة الواحدة . ولعلنا نعرف ذلك من جديد على خير من المعرفة السابقة وأصفى .

* * *

اما شعرك هذا العذب ، اما قصائدك التي كانت سبحات روح وتطلعات وجدان فقد بدأت مكتملة منذ كانت في سنة ١٩٣٤ قصائدك الثلاث التي أشرت اليها .. وتلك معجزة شعرك الاولى .. انه لم يعرف مرحلة البرعمة اذ اكتملت له الادوات منذ نماذجه المبكرة .. وقد تتبعت قصائدك بعد ذلك على مدى السنوات بين ٣٥ و ٣٩ في « الرسالة » . في سنة ٣٥ كانت « زهرة آذار » هدية لصديقك الشاعر الرقيق المرهف الاستاذ أنور العطار « والحان الفجر » التي اهديتها الى مجد الهجرة وفجر الاسلام و « اسطورة الخلود » التي كانت من وحي عصفورة ، و « ارض النبوة » التي اهديتها للكاتب العبقري الاستاذ علي الطنطاوي الذي غذى أدبه ، ولا يزال ، اجيالا من اجيالنا بمناسبة عودته من الديار المقدسة ، و « المساء »

(١) المصدر نفسه ص ١٨٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

و « أيا صوفيا » التي توجهت بها الى أتاتورك ، و « دنيا المتنبي » التي قلتها في ذكراه الالفية .

وفي سنة ٣٦ نشرت « يوم هنانو » ، و « فاجعة الروض » و « جهاد فلسطين » وقصيدة وداع للصديقين الطنطاوي والعظمة وقد مضيا الى العراق ، و « قسوة الطفولة » أوحى اليك بها طفل يعذب عصفورا .

وتتابعت قصائدك بعد ذلك « السراج المفقود » و « اليها » و «الفداء» و « بعلبك » و « العدالة » و « في ظلال الارز » و « نكبة السيول » في سورية ، و « احب واحتقر » .

ومع سنة ٣٩ بدأت قصائدك من باريس : « النور » و « قالوا سكت عن الغناء » و « مصرع الصقر » التي القيتها في أربعين غازي هناك ، و « ردّ التحية » وكانت وحي زهرة طوى عليها أخوك العامل الصامت الأستاذ أكرم رسالته ليشعرك بربيع دمشق ، وقصائد أخرى غيرها ليس لي ان اعددها كلها .. ولكني أريد ان اقف من شعرك عند بعض ظواهره وعند بعض قصائده وان أقول في ذلك اقل ما يمكن ان يقال في هذه الدقائق القليلة .

١ ــ أما ظواهره فالأمر أوسع من أن أستطيع ذلك في هذا الحيز الضيق ولكني اتجاوز لفتك المصقولة ولفظك المختار وتعبيرك النقي القوى وهذا السهل الممتنع الذي تمثله هذه الابيات في وداع صديقيك :

عندي التهاني عذبة لكما ... فرحى ، فمالي اليوم عندكما
ومع التهاني الطيبات أسى ... وار ، يجوب الصدر مضطرما
إمّا انتشى قلبي لمجدكما ... ذكر النوى فهفا لبعدكما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فـرح وتحنـان فأيهمـا أخـلي لـه الخفـاق أيهمـا
قـد حـار قلبي قبـل بينكما مـا يفعل المسكـين بعـدكمـا

اريد ان اتجاوز ذلك الى ظاهرتين :

الاولى : موسيقاك الشعرية التي تمثلت في شيئين : احدهما اشكالك الشعرية التي سكبت فيها شعرك والآخر الابحر التي استخدمتها . ان هذين يمثلان نزعة واضحة في التجديد الوزني أو الموسيقي .. فأنت لم تخرج عن حدود الابحر والتفعيلات ، ولكنك استطعت ان تنوع القوافي وان تعدد الاشكال . والغريب انك في هذا الشعر لم تكن تلجأ الا في الأقل، الى الابحر المطـولة أي الى الاشكال التقليدية وكأنك كنت تعاني الازمـة ولكنك تخضعها دون ان تخضع لها ، ان هذه الموسيقية في الشكل والنغم والقافية جديرة بدراسة متأنية رجوت لو أخلصت لها بعضا من وقت ، ولكني أحب أن أسجل انها ليست بنت المرحلة الثانية من شعرك، ذلك انه اذا كان شعرك هذا ينشعب بوجه من القسمة في مرحلتين : ما قبل باريس وفي باريس ـ وتلك قضية أخرى(١) ـ فان غناه الموسيقى وتجديده لم يكن ابن المرحلة الثانية وحدها ففي المرحلة الاولى كثرة من هذه العناصر تسترق السمع ، وتستلب اللب . وما من شك في ان المرحلة الثانية قد أوحت اليها وأضافت عليها ومكنت لها من ان تظهر على مثل هذا النحو الذي ظهرت فيه في قصائد « وحدة » و « احترق احترق » وغيرها .

(١) قصيدة النور التي نشرت في سنة ٣٩ منعطف جديد في شعر الطرابلسي ولعلها اول قصائده في باريس ان عناصرها الموسيقية في الالفاظ والاجواء « تعاقب النور والظلام والالق والغسق والشفق والخصور والنحور والستور ، والجمال والدلال والنغم » يحتم أن تكون اثر ليلة موسيقية .. انها سلسلة من الاطياف الدافقة التي تبدو وتغيب وتوضح وترمز .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والظاهرة الثانية : لا تتعلق بالشعر ، بأدواته .. ولكنها تتعلق بالروح التي كانت للشاعر ، وبالعواطف التي كانت تنبجس من خلال هذه الروح لتظهر على هذا النحو او ذاك . ان هذه الروح التي وضعتها في قصائدك هي بعض ما يجعل هذه القصائد عظيمة :

أ ــ ان الذين يمرون بعناوين قصائدك ويقفون عند مطالع منها مأخوذين بها قد ينجرون الى انك هذا الشاعر الغنائي الذي استبدت به مواجده .. كذلك توحي بعض هذه العناوين .. وما من شك في انك كنته ولكنك حلقت فوقه .. لم تكن « اناك » « الانا » الضيقة التي لا تعرف الا صاحبها ولكنها كانت « الانا » العريضة التي وسعت قومك ومجتمعك. ان عواطفنا تستبد بنا ، لا شك ، وهل نحن الا هذه الكتلة من العواطف .. ولكن الشعراء الذين ينتسبون لاقوامهم بأكثر مما ينتسبون الى أنفسهم ــ ما أصعب هذا الفصل ! ــ اذا رضوا لهذه العواطف أن تستبد بهم فانهم لا يرضون لها ان تستعبدهم .. وفي شعرنا العربي القديم منذ كان ، كانت هذه المزاوجة بين « الانا » و « المجتمع » .. ومن الاقتران والتفاعل ومن التواصل والتكامل بين الذات الضيقة والذات العريضة ــ مرة اخرى ما أصعب هذا الفصل وهذا الوصف ــ كانت «الذات ــ الأنموذج» التي يريد الشعراء ان يبشروا بها وان ينبطوا منها المكارم ، وان يلبسوها المثل .. لقد كان يتبدى مجتمعك من خلال «ذاتك» وكانت امتك تتلامح من وراء « اناك » .

ب ــ وليس هذا فحسب ولكن هذه الروح كانت تمتاز بشيء آخر .. والذين يقرؤون القراءة العابرة يظنون كذلك ــ وأنت تنطلق من الآلام والهموم والمواجد الفردية والاجتماعية ــ انك لا بد لك من أن يغلب عليك التشاؤم ولكنك ــ وهنا روعة ادراكك لروح العصر ، وطبيعة المرحلة التاريخية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التي نمر بها ـ وثبت فوق هذا التشاؤم .. لعلي لم أحسن التعبير وانما مررت به هادما له ، مستكبرا عليه ، داعيا من حولك الى تجاوزه .. تقول في قصيدة فاجعة الروض :

خل البكا والبث يا بلبل لا يطرب الانسان هذا النواح
تندب بينا يضحك الجدول فاحجب عن الابصار هذي الجراح

وتقول في قصيدة المساء :

لا يرعك الظلام ان ملأ الكو ن فان الصباح سوف يؤوب

كنت متفائلا دائما على اليتم .. كان هذا التفاؤل روح حضارتنا لانه روح ايماننا وعقيدتنا .. ومنذ اللحظة الاولى ترك الاسلام الاوهام والماورائيات : الاوهام تركها للذين لا يبرؤون منها والماورائيات تركها للذين يريدون أن يفكروا فيها .. ومضى نحو تكوين النفس السليمة المسلمة ـ ترى أليس من الحق أن ألفت الى هذا الجذر المشترك بين الوصفين ؟ ـ لقد كنت في ذلك وفيا لثقافتك وارثك ، قدر وفائك لعصرك ومستقبلك متجاوزا أحداثك الخاصة التي تجسدت في اليتم المبكر .. وكيف يكون العربي ان سلمت له عقيدته ، متشائما وهو يرى من حوله كل هذا التاريخ وكل هذه الحضارة .. وكيف وهو يؤمن بسعادة الدنيا وسعادة الآخرة ؟..

هذا التفاؤل لم يفارقك الا في الأقل الأقل .. في بداية الطريق عام ٣٢ كان هذا الاستفهام من قصيدة «عرس في مأتم» وقد ركبت صهوة آمالك تقطع صحراء الحياة وتقول في الخاتمة :

ترى أنجو سالماً أم ترى أهوى صريعا جاهدا للثرى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي سنوات باريس في ذروة الأزمة العالمية كان هناك شيء من التشاؤم.. ولكنه دخيل ، شاركت في صياغة غيومه الداكنة أجواء الحرب العالمية الثانية وفي باريس خاصة ، ووهبه ألوانه تكسر ما بينك وبين الوطن وانقطاع السبل ، وصاغت أخيلته وصوره هذه الأحداث التي مررت بها : ان قصيدة «احترق احترق(١)» تمثل هذا التشاؤم ، انتصاره أحيانا ، وتعرض في دقة هذه الروح التي تنوس بين اليأس والرجاء ، بين الأمل الباسم والواقع الأسود . انها مزيج رائع من الحنين يمثله التطلع الى النخلات وقد تلامحت من وراء البحار ويمثله القطار ، أداة الوصول الى الوطن وقد حملته كل سرائر النفس تنوس بين الأمل ، يعبر عنه : ويك لا تحترق ، وبين اليأس يعبر عنه : احترق احترق ..

تقول في أولها :

لاتقف ياقطار لاتهن ياخفق
نخلات الديار من وراء البحار
لمعت في الأفق
ويك لاتحترق

وتقول في آخرها :

قف بنا ياقطار واسترح ياخفق
بيننا والديار غمرات البحار
في ظلام الأفق
احترق..احترق

(١) تحدثت عن هذه القصيدة حديثا دقيقا الشاعرة نازك الملائكة في كتابها قضايا الشعر المعاصر في مجال الحديث عن تكرار المقاطع وأثره .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جـ ـ أحب أن أضيف وأنا أرصد ملامح هذه الروح التي تكمن وراءشعرك شيئاً آخر هو الاعتداد والكبرياء والتأبي على الآلام ، والترفع عن البكاء ، وتكريم الذات عن أن تكون نهبة للشكوك :

وبخافقي ما لـو تقسمه الـورى وسع القلوب على الزمـان خواليـا
لكنني أغـلى فـؤادي أن يـرى بين الأنـام ـ وأنت فيه ـ داميـا

أي رباط متين في ذلك بينك وبين سلفك استاذنا المرحوم محمـد البزم .. ومن ذا الذي لم يتأثر بإبائه : ابائه على الظلم ، وابائه على الدهر، وابائه على الحظوظ ، وابائه حتى على النحاة الذين لايرضى آراءهـم . ان هذا الاباء فرع عن أصل .. فرع مما قلت عن التفاؤل .. ولكنه فرع يوشك أن يستقل .. انه هو الذي تعبر عنه مثل هذه الأبيات :

أكتم لهيبك ما تقسمك الأسى لايرخصن بـكاك جرحـا غاليـا
واشمخ بأنفك في الخطوب ولايكن غلف القلوب أشد منـك تعاليا

ان الاباء الذي يخالط قصائدك أرجواني حينا كما في هذه الأبيات .. وهو حينا أقرب الى العناد الرمادي الصامد كما في الأبيات السابقـة .. ولكنه اباء أبيّ صارخ كما في هذه الأبيات :

أحب الفتى والفـل يثقل عنقـه وسيف الأعـادي بين عينيه يشهر
يصيح بأعلى صوته ينكـر الأذى ويضحك من بطش الطغاة ويسخـر
ويشمخ بالأغلال رأسا وان غدت تحـز ومـن أنيابهـا الـدم يقطـر
وأحتقر الأحرار يحنون رأسهـم وليس عليهـم سيـد أو مسيطـر
اذا كان قلب المرء عبـدا ورأيـه فقل لي ـ هديت الخير ـ ماذا تحرر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

د ــ وددت لو تحدثت عن بعض تساؤلاتك الفكرية في شعرك وهي في تقديري مزيج من أثر العصر ، وشكوك الشباب ، وعدوى المعري .. انها أبرز ما تكون في فاجعة الروض .. وحسبي مثلا هذان البيتان :

رباه ان الروض عذب هنيءْ وليس فيه شرة الزوبعهْ
وأنت لاترضى عذاب البريءْ كلا ، ولا يرضيك أن تفجعه

هـ ــ ووددت كذلك لو تحدثت عن نبضك الاجتماعي هذا الذي يمثله هذا المقطع من قصيدة « قسوة الطفولة » :

ايه ياعصفور هذي سنة البغي الذميم
ظالم يقسو على الحـق انتصارا لظلوم

ساكن الفردوس لايد رك ويلات الجحيم
وهو في الأحلام واللـذات والعز المقيم

أين طعم العسل الدفـاق من لذع الحميم

أين نفح النسمة الحلـ ـوة من لفح السموم

أو هذا المقطع من قصيدة العدالة :

ايه خروف الذبح مت يائسا فالكون للعقبان لا للأسودْ
أو فاتخذ بين الورى مخلبا كمخلب الليث ونابا حديد
ثم انتزع حقك مستنسرا ولا تدعه لعبة للقرود

و ــ ورجوت لو تحدثت عن رؤياك القومية والسياسية من خلال قصائدك الثلاث : « أتاتورك » و « المتنبي » و « جهاد فلسطين » . اقد شاركت في ايقاظ ضمير العصر ، على نحو ما حاولت في التدريس بعدُ ، حين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

أيقظت ضمير العربية السليمة في صفوف الطلبة وحببت بها ونسجت بينهم وبينها خيوط التعاطف .

ما كان أصدق رؤاك السياسية والقومية حين توجهت الى أتاتورك بهذا الحديث اذ كان منه ما كان في أياصوفيا :

وأنت الذي يدعونك اليوم مصلحا ... فهل يهدم التاريخ والمجد مصلح
أتاتورك ، حاذر من بني الغرب وثبة ... وان غردوا بالسلم يوما ولوحوا
فحيهم حب الذئاب لنعجة ... وسلمهم البراق سلم مسلح
فلا تلتمس عطفا من الغرب صاغرا ... ذليلا فما يحنو القوي ويسمح
ولا تعبد الغربي جهلا فانما ... ستكسب منه كل ذل وتربح

وما كان أصدق وصفك وأعمق احساسك بالجرح حين وصفت في قصيدتك عن المتنبي حال العرب قبل أن تستوسق حركتهم الاستقلالية.

يا أبا الطيب السني من الذكـ ... ـر ويا أيها الثناء الحميد
ما الذي أشتكي اليك وقلبي ... مفعم موجع ودمعي مديد
قد شكوت الزمان والمجد مجد ... عربي ، وغصنه أملود
ومللت الحياة في ظل سيف ... وهو فحل العروبة الصنديد
فلعمري ماذا نبث ونشكو ... بعد أن صوح التراث المجيد
قد عفا الملك وانطوى كل عز ... وهوى العرش والبناء المشيد
وغدا الحر من بني الصيد عبدا ... بينما العبد سيد معبود
وتمشي الصغار فوق شباب الـ ... ـمجد يختال هازئا ويسود
وبنو الصيد نائمون على الضيـ ... ـم فلا غصة ولا تنكيد
يا أبا الشعر أين منك رويّ ... هو للظلم والطغاة وعيد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أيــن صيحــاتك التــي تتنــادى بصداهــا يــوم الزحــام الأسود
قــم وصــرخ بين الغفــاة مهيبــا فلقــد طــال بالنيــام الهجــود
وصمة للخــلود أن تمحى العــر ب وببــلى لــواؤهــا المعقــود
ويصيح العفــاء في ربعهــا القفــ ــر ويطــوى حديثهــا الممــدود

وما كان أصدق حدسك اذ قلت في قصيدة « جهاد فلسطين » منــذ خمس وثلاثين سنة ، سنة ٣٦ ، تخاطب هؤلاء العرب :

أخــاكــمُ يا قــوم لاتهملوا ارفــاده اليــوم وامــداده
رقــوا لبلواه وثــوروا لــه حتى يبيد الحــق أضداده
فــذلــه تكسون أبــــراده ونصــره تجنـــون أوراده

أجل ياصديقي لقد اكتسينا أبراد الذلة .. ولم نجن أوراد النصر .. ولكن الطريق لن تطول ان شاء الله بين أن نخلع أبراد الذلة التي اكتسينا وبين أن تتوجنا أوراد النصر وأكاليله .

ز – وهل من سبيل إلى حديث عن الحنين في شعرك، هذه الظاهرة التي لــم تغادره .. حنين اتخذ ألوانا مختلفة وكان الحنين الى الوطن ذروته .. أتذكر أبياتك في رد التحية الى أخيك أكرم حين قابلت زهرته التي طوى عليها رسالته ليشعرك بربيع دمشق – بزهرة أخرى هي الزهرة – القصيدة التي قلت فيها :

نأيت عـن الــدار لا عن قلى فأحــلى مغاني الفتى داره
ولكننــي ســـرت يحتثني طمــوح الشبــاب وأوطاره
تخيرت بعــدي ولــو أنني هديت لمــا كنت أختـــاره

اني أخشى أن أسيء الى شعرك في هذه اللحظات الخاطفة .. ولكن مهما يكن من أمر فأنا حريص على أن أشير الى همزيتيك : الفداء في عام ١٩٣٧

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والاسراء في عام ١٩٣٨ . ان قصيدةالفداء بخاصةتمثل لونا جديدافيشعرك هو الشعر القصصي فقد استلهمتها من هذه الآيات المحكمة (فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني أرى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ... وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم) وجعلت لها هذا العنوان المثير .. ومثلت فيها نضج النفس القصصي الذي كان قبلها لمحات تراها ثم تستوحيها على حين صغت منها هنا قصة كاملة في هذه الأبيات التي قاربت المئتين .

ح ــ وكذلك فأنا حريص على أن أشير الى شعرك الذي يتصل بالأوابد والآثار .. انه قسم خاص لعل ما يمثله قصيدتا «في ظلال الأرز» ١٩٣٧ التي جاذبتها أحاديث القرون من قديم الى أن كانت زيارة لامرتين، « وهياكل بعلبك » ١٩٣٧ التي مجدت فيها هذه الأطلال :

أطلال .. ما البنيان يا اطلال فنيت على ضحكاتك الأجيال
هزئت رمامك بالزمان وصرفه ما تفعل النكبات والأهوال
يفنى الزمان جديده وجميله وعلى حطامك بسمة وجمال

ووصفتها هذا الوصف الجميل :

يا بعلبك وقفت فيك كأنني وصحابتي بين الطلول رمال
نرنو الى الرئبال وهو من الصفا فيكاد يفزعنا بك الرئبال

وجمعت فيها في حذاقة بين التاريخ القديم اذ تخاطب جوبيتر :

أرضيت أن تبنى القصور من الأذى لك ، أو يخضب بالدم التمثال
عبدوك فاستعبدتهم وتمزقت في ظلك العبدان والعمال
نحتت بأظفار العبيد صخورها وعلى العناة أقيمت الأثقال

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبين التاريخ العربي :

أرأيت أشرف فاتحا ، سار الهدى في ركبه ، واليمن والاقبال

وبينهما وبين الحاضر الثقيل :

اعلمت .. مالي والسؤال فربما نكأ الجراح الداملات سؤال

اني أعرف ، أيها السادة اني لا أفعل شيئا في هذه الكلمات المتسارعة الا أن أشير أو أثير .. وماذا يستطيع المرء حين يرى انه أشد ما يكون امتلاءً بالحديث ورغبة فيه وأقل ما يكون حظاً من الوقت الذي يساعد عليه ويسعف فيه الا أن يشير أو يثير !.

في كلمة موجزة كان التجديد واضحا في هذا الشعر : معانيه وكثير من صوره وموسيقاه وموضوعاته .. ان أية دراسة للحركة التجديدية في الشعر العربي تبقى دراسة ناقصة ان هي اقتصرت على الاشكال الجديدة التي جانبت الشعر العمودي ، ان هذا الشعر العمودي كان يتفجر عند عديد من شعرائنا عن حركة تجديدية واسعة في الاداء والموضوع .. والى ذلك أشارت السيدة نازك الملائكة في مواضع متعددة من كتابها « قضايا الشعر المعاصر » وأبان حديثها لاعن هذا فحسب وانما أبان عن الأثر الذي خلفه شعرك عند جيل الشعراءالذين جاؤوا من بعدك .. وأنا على مثل اليقين من هذا الاثر ولكن الشعر الجديد لم يؤرخ بعد ، ولما يتحدث كثيرون بعد كما تحدثت الشاعرة نازك وضوحا وصفاء وتقديرا .

وبعد فقد طويت انت شعرك بنفسك ولكن الدراسات الأدبية لن تطاوعك ، وسيظل شعرك ملكا للحياة الأدبية ترى فيه وجوها من وجوه التجديد ، وألوانا من ألوان الابداع ، ويجد متذوقوه ودارسوه ومطالعوه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في مقطعاته القصيرة وقصائده المطولة صورا من نفوسهم وتاريخهم ورموزهم وملامح من مستقبلهم .

* * *

أيهـا الأخ الصديق :

لقد كان لك تميزك في سيرتك الذاتية وسيرتك الأدبية ، في سيرتـك العلمية وسيرتك الادارية ، في سيرتك الوطنية والقومية والانسانيـة .. وكانت لك أوليات هنا وهناك .. في كل ذلك قطعت الطريق من أوله الى آخره من غير قفز ولا وثوب ، قطعته معانيا متمرسا من المرحلة الابتدائية الى الثانوية الى الجامعة الى كرسي الوزارة الفاضلة .. شعرك وحده هو الذي يشير الى مجانبة المعاناة والى اختصار الطريق .. أما فيما عـداه فكنت هذا الانسان الذي بلا الحياة وجربها وذاقها في كل خطوة منها .

ان حياتك كلها كاتبا وشاعرا ومحاضرا وباحثا ، في مراحلها كلها معلما واستاذا ووزيرا ، في أقطارها كلها في وطنك هنا الصغير في دمشق أو في عاصمة الوحدة الاولى في القاهرة أو في مهاجرك في المغرب كلها هذا النسيج المتصل الزاكي المتنامي : لحمته من الصلابة في الحق ، وسداه من الدقة في المعرفة ، وصبغه من الرهافة في الحس .

لقد قرأتك وعرفتك ، ثم زاملتك وخالطتك ، ثم صافيتك وآخيتك ، فما وجدت الا القوي الأمين والا البيان المرهف والا السيرة الواعية التي جمعت بين قلوب الشعراء واخلاق العلماء وارادة العاملين .

بعض هذا الذي قدمت أيها الأخ الزميل كان مجزيا في أن يمد اليـك المجمعيون يدهم ، يشدون على يديك مهنئين .. ويتكاتفون معك عاملين ، من أجل خدمة العربية وأدبها وتراثها .. لقد كنت جنديا طوال حيـاتك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ـ بوركت لك الحياة عطاء ونماء واتساعا ـ وقد كان المجمع : هذا الصرح العتيد ، يجسد جوانب من القيادة الروحية لهذا الوطن ، لغة وتراثا .. أفلا يكون حقا اذن أن تجد مقامك بين اخوانك في ظلال هذه القيادة وجزءا منهـا ؟..

من المشرق الى المغرب.. ومن المغرب الى المشرق.. تلك رحلة أجدادنا في الوطن العربي الواحد .. أفلا يكون لنا ان نأمل اذن ـ والايام أيام تجميع ما تبـدد والتقـاء ما تفرق واستـدراك ما فـات وتحقيق ما يجب ان يتحقق ، أو كذلك يجب أن تكون ـ ان تكـون رجعـة الطائر الى عشه وعودته الى تغريـده ، أسـرع مما يحسب الحاسبـون ... وهـذا مكانك أخاً عزيزاً ، وزميلا كريما ، بيننا ومعنا ـ ويد الله عـلى الجماعـة وليبارك الله على المجمع في أيامه المقبلات أزكى ما كان من بركته عليه في أيامه الماضيات ، وليجعل من مستقبله الألق في العقود المقبلات فوق ما كان ألقه في العقود الماضيات .. وليبارك على العاملين فيه جهودهم وجلدهـم وصبرهم وليجزهم بذلك أطيب الجزاء .

أيهـا الأخ الزميل :

لو لم يكن لك الا خلقك لكان ذلك سبيلك الطلقة الى المجمع ولو لـم يكن لك الا عملك لتقدمك عملك يفتح لك هذا الباب على مصراعيه ، ولو لم يكن لك الا علمك لكان علمك هو الذي يستحث خطاك الى كرسيك هنـا تحت قبة العادلية .

أما وقد جمع الله لك الخـلق والعلم والعمـل فأنت من اخوانـك المجمعيين ، قبل وبعد ، في الصميم .

والسلام عليكم ورحمة الله

شكري فيصل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net